

لهذا تعدد المشايخ للطلاب الواحد حتى ليبلغ عددهم أحيانا العشرات بل المئات، وعن بعضهم بإخراج معجم لشيوخه، يترجم فيه لكل منهم، وينوه بمقدار علمه وفضله وما أفاد منه. وفي هذا ما فيه من معاني تقدير الطالب لأستاذه ووفائه له، وهويدلنا ضمنا على مبلغ ما كان بين الطالب وشيوخه من محبة وثقة وملازمة طوية، وكل هذا يصور لنا الجو التعليمي الذي كانوا يعيشون فيه.

وحرص الطالب كذلك على استجازة شيوخهم في الحديث وغيره، حتى في علوم اللغة والأدب، فجازوهم وكتب بعضهم إجازاتهم أدبي بديع طريف، فكانت هذه الاجازات بمثابة الشهادات الجامعية الحديثة. ولعلها تشبه أرقى أنواع هذه الشهادات. وامتد حرص الطلبة على الأخذ عن الشيوخ أخذا معنعا واصلا بسنده إليهم حتى في الخط. ومن الطريف ما ذكر شمس الدين السخاوي في كتابه "الضوء الامع" في ترجمة ابن الصائغ، فقد قال ما ملخصه: "إن ابن الصائغ تعلم الخط المنسوب من النور الوسيمي تلميذ غازي ولازمه حتى أتقن قلم النسخ وفاق عليه، وأحب طريقة ابن العفيف فسلكتها وتعلمها من أبي على محمخ الزفتاوي المصري ثم صارت له طريقه منزعة من طريقتي غازي وابن العفيف، وابن الخط عن أبيه، عن الولي العجمي، عن شهدة الكاتبة، عن ابن أسد، عن علي بن البواب، وابن اسمسماني، عن مشايخها عن ابن مقله..." وهذا التسلسل في الأخذ، هو ما يسمونه بالخط المنسوب. ولم تمنح الاجازات جزافا واعتباطا، بل بعد طول اختبار للطلاب ودقة معرفة به، وبمحصوله من العلم.

وكان أمر التدريس يوكل إلى حذاق المعلمين، ومهرة الشيوخ ممن ذاع فضلهم، واكتمل علمهم. ونذكر على سبيل المثال: تقى الدين بن دقيق العيد، فقد درس في المدرسة الصلاحية والكاملية المعروفة بدار الحديث. وابن رزين،